مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

العدول عند قدامة بن جعفر بين البليغ والمعيب
The Displacement in Qudama Ibn Jaafar between the Rhetorical and the Defective

د. سفيان بوعنينبة
chehd07032011@gmail.com
جامعة 20 أوت 1955 ـ سكيكدة

تاريخ الإرسال: 24_11_2019 **تاريخ القبول: 09_09_2020**

I. الملخص:

أتناول في هذه الورقة مسألة لها امتدادها ومِدَادُها بين النقد والبلاغة، هي مسألة العدول في اللغة، وإذا كان موضوع العدول موضوعا رئيسا في الدراسات البلاغية لما فيه من إيحاءات ودلالات على الدلالات، فإن له في النقد محطات تختلف إلى حد ما عن البلاغة، بالنظر إلى الطابع الحكمي للنقد، وقد رأيت أن في (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر إشارات واضحة ودقيقة إلى موضوع العدول، بالنظرة التي أشرت إليها، والتي تقسم العدول بين بليغ جميل ومعيب، وفق جملة من الحدود والمعايير التي سنعرضها في هذه الدراسة، اعتمادا على مخطط عمدت فيه ـــ بعد بسط المقدمة ـــ إلى تعريف العدول، ثم مفهوم الشعر عند قدامة بن جعفر، فعرض لصور العدول في كتابه؛ وهي: المناقضة، والغلو، والتشبيه، والطرافة، وائتلاف اللفظ والمعنى، وعيوب الشعر، وعيوب المعاني، وعيوب ائتلاف اللفظ والمعنى، وعيوب ائتلاف المعنى والوزن، مع توضيح الأمثلة التي ساقها لتوضيح وجهة نظره، بما يتيح معرفة حدود الحسن والقبح فيها، مع التعليق على ذلك وإبداء الرأي، ما دعت إلى ذلك الحاجة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

وقد خلصت بعد هذه القراءة إلى خاتمة تحدثت فيها ـــ بإيجاز ـــ عن صور العدول وملامح الحُسن والقُبح فيها في "نقد الشعر"، مكونا وجهة نظر قوامها أن ما رأى قدامة أنّه معيب قد يرى غيره أنه ليس كذلك، وأن ما كان معيبا في زمن قدامة هو إبداع اليوم، ولعل ما عدّه بليغا، هو سطحي وعادي اليوم، فلكل متلقٍّ أدواته، ولكل زمن معاييره وحدوده.

الكلمات المفتاحية: العدول، النقد؛ نقد الشعر؛ قدامة بن جعفر.

I. ABSTRACT:

In this paper, I threat a question that has its extent in criticism and rhetorics, which is the question of displacement in language, and if the topic of displacement is a major subject in rhetorical studies because of its overtones and significances on significances , then in criticism it has other stations that are somewhat different from rhetoric, given the nature of judging in criticism, and I have seen that there are clear and accurate references to the topic of displacement in (Criticism of Poetry) by Qudamah bin Jaafar, in the view that I have referred to, and that divides the displacement between rhetorical and deffected, according to a set of limits and criteria that we will present in this study, depending on a plan that I followed : after extending an introduction I gave the definition of, displacement then the concept of Poetry according to Qudamah Ibn Jaafar, and a presentation of the images of displacement in his book, which are: contradiction, hyperbole, analogy, wit, and the coalition of word and meaning, defects of poetry, defects of meanings, defects of the meaning and meaning coalition, and defects of the meaning coalition and meter, with a clarification of examples that he presented to express his point of view In

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

order to trace the limits of ugliness and goodness in them, with commentary on that and some personal opinions, as needed.

And fianally, I concluded with a conclusion in which I spoke briefly about the images of displacement and the features of goodness and ugliness in it in “Criticism of Poetry”, forming a view based on that what was seen by Qadamah as defective may be seen by others that it is not so, and that what was defective in the time of Qudamah is creative nowdays, and perhaps what he considered Rhetorical, is superficial and ordinary today. Each recipient has its tools, and each time has its own standards and limitations.

Keywords: displacement, criticism, poetry criticism, Qudamah bin Jaafar.

1. المقدمـــة:

موضوع العدول في الدراسات البلاغية موضوع على قدر كبير من الأهمية، لما يتناوله من إيحاءات ودلالات على الدلالات، ولما يستدعيه من فهم دقيق، ونظرة عميقة، لالتواء طرقه، وغموض مقاصده، إذ يقوم على الانتقال بالألفاظ في النص من سياقها المألوف الاعتيادي إلى سياق جديد خلاف الظاهر، مما يثير التساؤل، ويلفت النظر والانتباه. وعلى الرغم من ارتباط العدول بالبلاغة في عرف الدارسين، إلا أنّ له محطات في النقد تختلف عن الرؤية البلاغية بالنظر إلى خصوصية النقد التي تقوم على إصدار الأحكام القيمية، والقارئ لقدامة بن جعفر في (نقد الشعر) يجد إشارات واضحة ودقيقة إلى استعمالات العدول، بنظرة الناقد التي من خلالها قسم صور العدول بين بليغ جميل ومعيب قبيح، وقد رصدنا العدول عنده في الصور الآتية: المناقضة، والغلو والكذب، والتشبيه، والاستغراب والطرافة، وائتلاف اللفظ والمعنى، وعيوب الشعر، وعيوب المعاني، وعيوب تتعلق بائتلاف اللفظ والمعنى، وعيوب تتعلّق بائتلاف المعنى والوزن.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

2 ــ العدول

مفهوم العدول قديم جديد، فقد ارتبط هذا المفهوم عند القدماء بالأدوات التي بها تتم قراءة النص القديم، والمتعلقة أساساً بالفصل والوصل والتقديم والتأخير والمجاز، أو لنقل بعلوم البلاغة عموماً[1]، وقد بعث هذه العلوم إلى الوجود اهتمام العلماء بالقرآن الكريم تحديدا؛ ودفعهم إلى ذلك محاولاتهم حل الإشكالات التي يطرحها تفسير القرآن الكريم والإبانة عن إعجازه، ثم محاولة فكّ بنية الخطاب الشعري، وتجلية مغالق الإعجاز، وترسيخ الوعي بخصوصية الصياغة الأدبية التي ليست إلا صورةً من صور العدول عن الاستعمال العادي، وقد أشار القدماء إلى ظاهرة العدول بمصطلحات عديدة أبرزها، المجاز أو التجوز، وإخراج القول غير مخرج العادة، والتوسع وغيرها[2]، مما أسس إجراءات فك غريب النص، والكشف عن تلك الطاقات الإيحائية للغة، وعن قدراتها التعبيرية، والتي تقوم على مبدأ العدول في اللغة عن مستوى استخدامها المألوف والمعتاد[3].

أسّس النحاة واللغويون مباحثهم على رعاية الأداء اللغوي المثالي، في الوقت الذي سار فيه البلاغيون في اتجاه آخر؛ فأقاموا مباحثهم على أساس انتهاك هذه المثالية والعدول عنها في أداء لغوي يوصف بالفني، لذلك يعدّ الأداء المثالي أساس أي عدول، إنه المرجع لكل خروج أو انحراف عن أصل الكلام أو أصل المعنى، قصد إعطاء النص قدرات إيحائية

[1]– ينظر محمد تحريشي: النقد والإعجاز، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004، ص208.

[2]– ينظر الأخضر جمعي: اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م، ص31.

[3]– ينظر محمد تحريشي: النقد والإعجاز، ص209.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

رمزية[1]، هذا النص الذي أخذ نصيبه من موقف النقد بحمد أو ذم استنادا إلى معايير، حدّها النقاد، ومنهم قدامة ابن جعفر★.

3 ــ الشعر عند قدامة بن جعفر:

تنبّه قدامة بن جعفر ــ في وقت مبكر ــ إلى مسألة أن الشعر صناعة، وقد سعى إلى تمييز جيِّد الشعر من رديئه، وتمييز الشعر من النثر باعتبارهما طرفين متضادين، أحدهما الذي هو الشعر يستعمل اللغة في أقصى درجة من العدول عن اللغة المعياريّة[2].

يعرف قدامة الشعر بأنه: «قول موزون مُقفًّى يدلّ على معنى»[3]، وهي المقولة المشهورة التي تردّدت في كتابات النقاد الذين جاءوا بعده، والتي يرى فيها بعض المحدثين إرهاصاً متميّزاً في تصوّر الشعرية بالمفهوم الحديث[4]، إن المتمعن في هذا التعريف يرى،

[1]– ينظر م ن، ص208.

★ هو: قدامة بن جعفر بن قدامة ابن زياد، أبو الفرج الكاتب، البغدادي، (ت 319 أو 320 هـــ) كاتب، من مشاهير البلغاء والفصحاء، وهو أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم، وهناك من يعده أشهر النقاد العرب الذين أثروا حركة النقد الأدبي العربي، إذ يعد كتابه "نقد الشعر" أصلا لجميع الدراسات النقدية العربية. ينظر قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان، ص5.

[2]– ينظر طراد الكبيسي: في الشعرية العربية (قراءة جديدة في نظرية قديمة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004م، ص12.

[3]– قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص64.

[4]– ينظر مصطفى درواش: خطاب الطبع والصنعة (رؤية نقدية في المنهج والأصول)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2005م، ص253.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

كما يرى فاتح علاق، أن الشعر باعتباره قولا أو كلاما: هو استعمال خاص للغة[1]، وزيادة على ذلك فإن: صفة الوزن تفصل الشعر عما ليس موزوناً، والقافية تفصله عمّا لا قوافي لـــه، حتى لو كان مُسجَّعاً كالنثر المسَجَّع، ودلالته على معنى يفصله عمّا لا دلالة على معنى له[2]، وهي المميّزات التي تخرج الشعر عن غيره مما ليس بشعر، وهي التي تعطيه الفَرادة والتميُّز، ومن ثمة خروجا باللغة غير مخرج العادة.

من ناحية أخرى تساءل بعض المحدثين ـــ انطلاقا من هذا التعريف ـــ عن موقع اللغة المجازية من الشعر عند قدامة، باعتباره المحور الذي تدور في فلكه شعرية الشعر، وقد ردَّ بعض الدارسين؛ بأن سكوت قدامة عن المجاز في هذا التعريف ليس نفيا له، إدراكا منه رسوخَهُ في اللّغة عامة واللغة الشعرية خاصة[3]، وفي ثنايا هذا العرض بعضُ المحطَّات التي تفي بالمجاز في كتاب "نقد الشعر".

4 ـــ العدول في "نقد الشعر":

يجد المتصفح لكتاب "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر استعمالات كثيرة دالة على مفهوم العدول، منها ما يقع في اللفظ والمعنى، ومنها ما يقع في الوزن والقافية، وهي عند قدامة بين المستحب المقبول، وبين المنكَرِ المعيب، وهي المفارقة التي وضع لها تبريرات في كتابه استنادا إلى معايير لغوية وبلاغية تتأسس على كسر القاعدة أو تدميرها، وإنشاء صورة لغوية جديدة، تؤدي إلى الاندهاش والاستئناس، أو إلى النفور والانقباض، وهو ما يظهر في المحطات الآتية.

[1]– ينظر فاتح علّاق: مفهوم الشّعر عند رُوّاد الشّعر العربي الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2005م، ص316.

[2]– ينظر طراد الكبيسي: في الشعرية العربية، ص13.

[3]– ينظر فاتح علاق: مفهوم الشّعر عند رُوّاد الشّعر العربي الحر، ص134.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

4. 1 المناقضة:

اعتبر قدامة بن جعفر مناقضة الشاعر نفسه في شعره، بأن يَصفَ شيئاً بالحسنِ وصفا رائقا، ثم يذمّه بعد ذلك ذماً حسناً أيضاً، غير معيب في شعره، وذلك لأنه أحسن المدح، وأحسن الذَّم[1]، وخروج الشاعر من مدحٍ إلى ذَمٍ، أو من ذم إلى مدح صورةٌ من صور العدول، والشعر عند قدمة غيرُ معيبٍ بمجاوزته الأخلاق، فقد قدم قدامة بيتين من فاحش المعنى لامرئ القيس منكِرًا رأي من عابهما؛ إذ ليس فُحشُ المعنى في نفسه مما يزيلُ جودةَ الشعر المقيلِ فيه، كما لا يعيب جودة النجار رداءة الخشب الذي يستعمله[2]، وقد اختُلف في هذه المسألة قديما وحديثا، فهناك من يفرق بين الأخلاق أو الدين عموما، وهناك من يسفّه من يتجاوز حدود الأخلاق والدين، ويذهب كثيرون إلى الاستشهاد بما نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله في أمية بن أبي الصلت «آمن شعره وكفر قلبه» لما كان في شعره من معانٍ سامية فضلا عن جماله وروعة نظمه، وقد نفى ابن صاعد (ت 318 هـــ) ـــ وهو أحد رواة الحديث ـــ معرفتَه بهذا الحديث[3]، ثم إن قبول هذا الطرح لا يفضي بالضرورة إلى قبول نقيضه؛ أي أن يُقبل من المسلم كسر الأخلاق في شعره، استنادا إلى أن قبله مؤمن، غير أننا يمكن أن نتفق على شيء في هذه (المناقضة) يتصل بصنعة الشاعر وبراعته، فهو بارع في الحسن من المعنى، وبارع في الفاحش منه، فإن تحقق له الجمع بينهما في صورة واحدة، أثار دهشة واستغرابا للمزج وللبراعة، وليس قبولا للمعنى الفاحش.

4. 2 الغلو والكذب:

[1]– ينظر قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص66.

[2]– ينظر نقد الشعر، ص 66.

[3]– ينظر ابن كثير: البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م، ج2، ص287.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

تكلم قدامة في مسألة الغلو والكذب التي وقف عندها الفلاسفة، يقول: «رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر، وهما الغلو في المعنى إذا شرع فيه، والاقتصار على الحد الأوسط فيما يقال منه»[1]، ثم يعرض موقفه من المذهبين بقوله: «إن الغلو عندي أجود المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه»[2]، فقدامة يلتقي مع الجاحظ والجرجاني وحازم القرطاجني وغيرهم في أنّ الكذب في ذاته ليس من شأنه الحُكمُ على جودة الشعر أو رداءته، وإنما الشاعر مطالب بأنْ يُحسن القول[3]، ثم إن قضية الصدق والكذب في الشعر عامة وشائعة عند كل الأجناس البشرية[4]، والكذب بصفة عامة مثير للمتلقي لخروجه عن الأصل الذي هو الصدقُ، وهو يشكل علامة بارزة في الشعر إذ لا يكذب الشاعر إلا مبالغا، والنفس تأنس بالكذب والمبالغة، لأنه يخلق أفقا جديدا غير مألوف، فإن ألفه الناس صار مبتذلا.

ويمثل قدامة للخروج عن الموجود[5] بوصفه مبالغة وغلوّا بقول أبي نواس في مدح الرشيد: (البحر الكامل)

وأَخَفْتَ أهلَ الشركِ حتَّى إنَّهُ لتخافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَقِ

وقد علّق قدامة على هذا البيت بأنه «إفراط في الغلوّ. وإذا أتى بما يخرج عن الموجود، فإنما قَصَدَ إلى تصييره مَثَلاً. وقد أحسن أبو نوَّاس حيث أتى بما يُنبئُ عن عِظم

[1]– نقد الشعر، ص91.
[2]– نقد الشعر، ص94.
[3]– ينظر طراد الكبيسي: في الشعرية العربية، ص16.
[4]– ينظر حسين خمري: الظاهرة الشعرية العربية، ص179.
[5]– ينظر قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص94.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

الشيء الذي وصفه»[1]، فلم يتعدّ الصدق صدر البيت، إذ تخاف الناس، فهل تخاف النطف؟، ثم هل تخاف الأجنة؟، ثم هل تخاف الرضع؟، تجاوزا لمراحل الخلق، إفراطا وغلوا، بما يصيب المتلقي بصدمة تستدعي توقفه لتأمل هذا الجنوح، ومن ثمة أخذ موقف من هذه الصورة الفريدة

وقد فرّق قدامة بين غلوٍّ جائز وغلوٍّ غير جائز، وغير الجائز عنده ما كان خروجاً عن حد الغلو الذي يجوز أن يقع (مثل بيت أبي نواس) إلى حد الممتنع (المستحيل) الذي لا يجوز أن يقع[2]، والواقع أنّ كلا العدولين متروك للمتلقي، لأن حدود المستحيل متفاوتة، ثم إن قبولي لجمال الصورة المستحيلة لا يفرض على غيري قبولها، ورفضي لا يلزم غيري كذلك.

4. 3 التشبيه:

عرض قدامة لأمر العدول في التشبيه ضمن ما أسماه "التصرّف في التشبيه"[3]، ويقع التشبيه عنده بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ معيّنة، وافتراقٌ في أشياءَ ينفرد كلٌّ واحد منهما عن الآخر بها، وإذا كان قدامة يستحسن التشبيه الذي تتعدد أوجه الاختلاف بين طرفيه وتقل أوجه الاختلاف حتى يدني بهما ذلك إلى الاتحاد[4]، فإنه يحيلنا إلى مستوياتٍ من العدول متعدِّدةٍ؛ مستوى بسيط: هو الذي يستحسنه قدامة، وآخر حاد يقع بين شيئين انفرادُهما في الصفات أكثرُ من اشتراكهما، لأن الانزياح يقوم على المغايرة والاختلاف، ويصل أقصى حدودِه بالتضاد، ومن ناحية أخرى نجد صورة من صور

[1]– نقد الشعر، ص95.

[2]– ينظر نقد الشعر، ص201.

[3]– ينظر أحمد محمد ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، ص143.

[4]– ينظر قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص124.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

العدول في استعمال التشبيه استعمالا لم يألفْهُ الشعراء، يقول قدامة: «من أبواب التصرف في التشبيه أن يكون الشعراء قد لزموا طريقاً واحداً في تشبيه شيء بشيء، فيأتي الشاعر من تشبيهه بغير الطريق التي أخذ فيها عامة الشعراء.»[1]، ومثال ذلك أن أكثر الشعراء يشبهون الخوذ بالبيض، كما قال سلامة بن جندل: كأنَّ النعامَ باض فوق رؤسهمْ .....

وخرج عن ذلك أبو شجاع في قوله:

فلم أرَ إلا الخيلَ تعدُو كأنَمَا سنورهَا فوق الرؤوسِ الكواكبُ[2]

وهو بذلك يخرج عن عرف الشعراء في التشبيه، بما يفتح بابًا في العدول مرتبطًا بأدواته، غير أنه بقي محصورا في حدود تقارب الصورة بين المشبه والمشبه به، وهي رؤية تختلف عن غايات التشبيه التي يذهب إليها كثيرون، بتفضيل التشبيه البعيد الغريب على حساب التشبيه القريب المبتذل، والبعيد الغريب "هو ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه في بادئ الرأي"[3]، ومثاله تشبيه البرق بأصبع السارق، وخلاف ذلك القريب المبتذل؛ أي هو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به دون إعمال فكر ولا تدقيق نظر[4]، كتشبيه وجه الحسنا بالقمر. وخلاف ما ذهب إليه قدامة، أرى ـــ كما يرى البلاغيون المتأخرون والمحدثون أن للتشبيه البعيد وقعا فريدا وعميقا في النفس، يتسلل إلى أغوارها ويستثيرها استجلابا لتمعنها واستغرابها واستحسانها وتمتعها.

[1]– نقد الشعر، ص128.

[2]– ينظر نقد الشعر، ص128–129.

[3]– جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم – بيروت، ط4، 1998م، ص238.

[4]– ينظر علي الجندي: فن التشبيه، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ط1، 1952، ج2، ص149.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

4. 4 الاستغراب والطرافة:

من المسائل التي عرضها قدامة في كتابه، ولها صلة بالعدول؛ الاستغراب والطرافة، وهو لا يدخل عند قدامة في جودة الشعر، إذ الجيِّد ما كان في ذاته جيدا، فإذا قيل من غير أن يكونَ تقدَّمهُ مَنْ قالَ مثلَهُ، فهو الطريف والغريب، إذا كان فرداً قليلاً[1]، لأنّ الطريقة المخصوصة في الأداء اللغوي، والتي تقوم على خرق العادي لصالح الطَّريف واللَّذيذ والغريب والمفاجِئ والمثير، وهذه الطريقة هي التي تجعل الشعر شعراً[2]، وهي السالبة لألباب المتلقين بجدتها ومخالفتها لما ألفوه من الشعراء، ومثال ذلك ما جاء في قول زهير بن أبي سلمى يمدح الغني والفقير معا، وقد جرت العادة على مدح الأغنياء فقط:

على مكثريهمْ حقّ من يعتريهمُ وعندَ المقلين السماحةُ والبذلُ

ويقصد أن أيدي الأغنياء سخية بالعطاء على من يقصدهم ويطلب ما عندهم، والفقراء يبذلون بمقدار جهدهم وطاقتهم[3]، وما كان للفقراء نصيب من مدح الشعراء قبل زهير، فكان ما جاء به غريبا طريفا، فإذا ورد هذا المورد من جاء بعده من الشعراء، لم يأت بطريف ولا غريب.

[1]– ينظر نقد الشعر، ص152.

[2]– ينظر مصطفى درواش: خطاب الطبع والصنعة، ص253.

[3]– ينظر أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري: البديع في نقد الشعر، تح: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، مر: إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة، ص132.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

وأغرب من هذا وأطرف، مدح الأقيشر الأسدي لمجوسي أعانه على دفع مهر الرباب ابنة عمه: [1]

كَفَاني المَجُوسِيُّ مَهْرَ الرَّبَابِ فِدًى لِلْمَجُوسِيِّ خَالٌ وَعَمْ
شَهِدْتُ بِأَنَّكَ رَطْبُ المشَاشِ وَأَنَّكَ بَحْرٌ جَوَادٌ خِضَمْ
وَأَنَّكَ سَيِّدُ أَهلِ الجَحيم إذا ما تَرَدَّيتَ في مَن ظَلَم
تُجاوِرُ هامانَ في قَعرِها وَفِرعَونَ والمُكتَني بالحَكَم

فما عمد الشعراء قبله إلى المدح بجعل الممدوح في الجحيم، ومسوغ هذا المدح أن جعل الشاعر الممدوح مع سادة الجحيم فرعون وقارون وأبا جهل، غير أنه تخريج غريب طريف، وهذا المسلك في إرباك السامع وإمتاعه أدعا إلى حفظ هذه الأبيات ومثيلاتها، لأن الشعر يختار ويحفظ لأنّ قائله لم يقل غيره، أو لأنّ شعره قليل عزيز، أو لأنّه غريب في معناه[2]. وتلك مزية للشاعر، وتفوق في الإبداع.

4. 5 ائتلاف اللفظ والمعنى:

تناول قدامة مسألة ائتلاف اللفظ والمعنى، بشكل يتيح رصدَ أشكالٍ متعدِّدةٍ من العدول، وذلك انطلاقا من أنواعه التي هي: المساواة، والإشارة، والإرداف، والتمثيل، والمطابق، والمجانس؛ فالمساواة: أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى دون زيادةٍ أو نقصان، والإشارة: تعدّد دلالات اللفظ القليل بالإيماء والتلميح إليها[3]، والإرداف أن يأتي الشاعر للدلالة على معنى ما بغير لفظه الدال عليه مباشرة، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه

[1]– ميلود مصطفى عاشور: مقاييس فصاحة اللفظ ومعايير بلاغة المعنى في التراث النقدي والبلاغي – دراسة فنية تحليلية، يسطرون للطباعة والنشر، 2015م، ص89.

[2]– ينظر ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423 هـ، ج1، ص87.

[3]– ينظر قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص154–155.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

وتابع له، لأن الدلالة على التابع تُبِينُ عن المتبوع، والتمثيل: أن يريد الشاعر معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عن مُرادِهِ، والمطابق والمجانس: ما يستعمله الشاعر في شعره من معانٍ متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة [1].

إن المتتبع لأنواع ائتلاف اللفظ والمعنى هذه يرى ـــ باستثناء "المساواة" باعتبارها أبعد عن العدول من غيرها ـــ أنّ لأنواع ائتلاف اللفظ والمعنى هذه دلالات على العدول، أكثرها وضوحا وحدةً **الإرداف والتمثيل**؛ ففي **الإرداف** الذي هو استعمال لفظٍ للدلالة على معنى متبوعه، يعلق قدامة على بيت عمر بن أبي ربيعة: (البحر الطويل)

بَعِيدَةُ مَهْوى القُرطِ إمّا لِنوْفَلٍ أَبُوهَا، وإمّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمِ

بقوله: «وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد (العُنق) فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد، وهو "بُعْدُ مَهْوى القُرْطِ"»[2]، وهذا المثال الذي قدمه قدامة من أبرز الأمثلة التي تقدم للتعريف بالكناية، فالكناية: هي الإرداف بعينه، عند علماء البيان، وهي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى ردفه في الوجود؛ أي تابع له، فيومئ إليه، ويجعله دليلًا عليه، ومن أمثلة ذلك قولهم: طويل النجاد ويقصدون: طويل القامة، وكثير الرماد؛ ويعنون كثير إطعام الضيف[3]، فلم يذكر المعنى المراد مباشرة، وإنما ذكر معنى آخر

[1]– ينظر نقد الشعر، ص162.

[2]– نقد الشعر، ص157.

[3]– ينظر ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري: خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت، 2004م، ج2، ص263.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

هو رديفه في الوجود، لأن القامة إذا طالت طال النجاد، وإذا كثر طهو الطعام كثر الرماد، ولأن النفس تأنس بإخفاء الشيء والتلميح إليه، كانت هذه الصورة منشودة من قبل الشاعر والمتلقي على السواء، فهي ملمح من ملامح شاعرية الشاعر، وتمتيع للمتلقي بأخذه للمعنى من طرفه الخفي.

أما **التمثيل** فعرفه قدامة بأنّه: "أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه"[1]؛ أي هو وضع لفظٍ للدلالة على غير ما وضع له، فهو غير التشبيه، قال صاحب العمدة: "والتمثيل والاستعارة من التشبيه، إلا أنهما بغير أداته، وعلى غير أسلوبه"[2]، ويوضح قدامة التمثيل بالتعليق على قول الرماح بن ميادة: (البحر الطويل)

أَلَمْ تَكُ فِي يُمْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجْعَلَنِّـــي بَعْدَهَا فِـــي شِمَالِكَا
وَلَوْ أَنَّنِي أَذْنَبْتُ مَا كُنْتُ هَالِكاً عَلَى خِصْلَةٍ مِنْ صَالِحَاتِ خِصَالِكَا

قال معلّقا على البيتين: «فعدل عن أن يقول في البيت الأول :إنه كان عنده مقدماً، فلا يؤخره، أو مقربا، فلا يبعده، أو محتبى، فلا يجتنبه، إلى أن قال: إنه كان في يمنى يديه، فلا يجعله في اليسرى، ذهاباً نحو الأمر الذي قصد الإشارة إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له، وقصد الإغراب في الدلالة والإبداع في المقالة»[3]، ويزيدُ قدامة تعليقا على بيتين لعمير بن الأيهم: (البحر البسيط)

رَاحَ القَطِينُ مِنَ الثَّغْرَاءِ أَوْ بَكَرُوا وَصَدَقُوا مِنْ نَهَارِ الأَمْسِ مَا ذَكَرُوا

[1]– قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص160.

[2]– ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م، ج1، ص280.

[3]– قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص160.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

قَـــالُوا لَنـــَا وَعَرَفْنَا بَعْضَ بَيْنِهِمُ قَوْلاً فَمَـــا وَرَدُوا عَنْهُ وَمَـــا صَدَرُوا

قال: «فكان يستغنى عن قوله :فما وردوا عنه ولا صدروا، بأن يقول: فما تعدوه، أو فما تجاوزوه، ولكن لم يكن له من موقع الإيضاح وغرابة المثل ما لقوله: فما وردوا عنه ولا صدروا»[1]، نلاحظ في هذا التعليق إشارة قدامة إلى العدول بعبارة: "كان يستغنى عن قوله (كذا...) بأن يقول (كذا وكذا....)"؛ بمعنى أنه عدل عن كذا إلى كذا، وقدامة يستعمل في "نقد الشعر" ـــ في تعليقاته على الأشعار ـــ كثيرا مما يقترب من هذا المعنى في عموم دلالة العدول، نذكر منها: "وقد كان يجوز أن يقال مكان ما قيل فيه ـــ إشارة بعيدة لغير لفظ... ـــ فقد أشار إلى كذا ... إشارةً بعيدة ظريفة بغير لفظه ـــ أشار إلى هذا إشارة مستغربة ـــ أومأ إيماءً غريباً ظريفاً ـــ يريد أن...[2]ـــ وأراد.... [3] ـــ (فكأن مخرج الكلام إنَّما هو مخرج كلام من أراد ـــ فكأنه أراد ـــ فإنه إنما أراد)[4]"، وغيرها، غير أنَّ (أَرَادَ) وما شابهها أكثرُ استعمالات قدامة من بين هذه الاستعمالات في دلالة العدول في كتابه، وتجد فيها قبولا عنده، وارتياحا واستئناسا بما يقوم به الشاعر من التلميح بدل التصريح، والإيماء بدل المباشرة، ويتحقق هذا الارتياح والاستمتاع استنادا على وعي وذوق مشتركين بين الشاعر والمتلقي.

4. 6 عيوب الشعر:

[1]– نقد الشعر، ص 160.

[2]– ينظر نقد الشعر، ص162.

[3]– ينظر نقد الشعر، ص159–160.

[4]– ينظر نقد الشعر، ص176.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

خصّص قدامة الفصل الثالث من كتابه لعيوب الشعر، ولفظ العيوب في حد ذاته يحيل على مفهوم الخروج على القاعدة، وتفصيلات العيوب تزيد هذا الارتباط إيضاحا وتجلية، والعيوب التي عددها قدامة تكون في: اللفظ، والوزن، والقافية، والمعنى.

وأبرز العيوب اللفظيةِ المعاظلة: وهي مداخلة الشيء في الشيء، وقد وصف عمر ابن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ زهيرا باجتنابها، ولتوضيح هذا العيب في الشعر، يعرض قدامة أشعارا لكل من: (أوس بن حجر ــ عنترة العبسي ــ طفيل الغنوي ــ عمر بن كلثوم ــ أبي ذؤيب الهذلي ــ أوس بن مغراء ــ والمخبل)[1]، ثم يعلّق عليها بالقول: «فما جرى هذا المجرى مما له مجاز، كان أخف وأسهل مما فحش و لم يعرف له مجاز، وكان منافراً للعادة، بعيداً عما يستعمل الناس مثله»[2]، والعدول مجازٌ ــ هذا من ناحية ــ، ومن ناحية أخرى منافرةُ العادةِ، والبعدُ عما يستعمل الناسُ مثله عدول أيضا، وإن كان مما فَحُش كما ينعته قدامة.

أردف قدامة الكلام في المعاظلة بالكلام في عيوب الوزن، ومنه الخروج عن العروض، ومصطلح الخروج أدخل في العدول وأَبْيَنُ، وهو يكرر استعمال الخروج في معرض وصف عيوب الوزن، ثم إنّ (العيب) في ذاته يحمل دلالة الخروج عن الصواب إلى الخطأ؛ أي العدول، لذلك كانت "عيوب الشعر" مسألةَ عدولٍ في العَروض، ومن عيوب الخروج عن العروض التخليعُ: وهو الذي أفرط قائله في تزحيفه، جاعلا ذلك بِنيةً للشعر كله، حتى ميَّله إلى الانكسار، وقد لاحظنا استعمال قدامة لفظ (الانكسار) إلى جانب (الخروج) عدولا، وأخف من (التخليعِ) (الزحافُ)، وهو أن ينقص الجزء عن سائر

[1]– ينظر نقد الشعر، ص176–177.

[2]– نقد الشعر، ص177.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

أجزاء الوزن، وهو جائز في العَروض[1]. وهنا نقف عند الجواز، بعد الخروج إليه مقبولا، وإن كان أقل درجة من الذي لم يخرج إليه، فهو لا يفسد الشعر بالمطلق، وإنما يخلق له رتبة في سلم الشعر، وميزان النقد.

يقود الحديث عن عيوب الوزن إلى عيوب القوافي، وهي عند قدامة: التجميع، والإقواء، والإيطاء، والسِّناد.

أما **التجميع** فهو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي يوحي بأن تكون قافية آخر البيت موافقة له، فتأتي بخلافه[2]، وهو ما يحدث عند المتلقي خيبة توقع، أو صدمة انتظار.

والإقواء: «هو أن يختلف إعراب القوافي، فتكون قافية مرفوعة مثلاً، وأخرى مخفوضة أو منصوبة»[3]، وهو يعدّ من هذا الباب مخالفة وخروجا عن المألوف الذي هو موافقة إعراب القوافي، ومن باب آخر هو ما يعدُّ عند اللغويين من باب اللَّحن والخطأ، إذا وافق القافية السابقة تاركا حركته الإعرابية، وهو ما وقع فيه النابغة الذبياني في قصيدته التي مطلعها: (البحر الكامل)

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِـــحٌ أَوْ مُغْتَدِ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ

فالروي في القصيدة مكسور، غير أن الشاعر أقوى في قوله:

زَعَمَ البَوَارِحُ أَنّ رِحْلَتَنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الغُرَابُ الأَسْوَدُ

[1]– ينظر نقد الشعر، ص178–180.

[2]– ينظر نقد الشعر، ص181.

[3]– نقد الشعر، ص 181.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

وهو العيب الذي أدركه النابغة بعدما غنته جارية بمدّ الروي، وقيل إنَّهُ غيَّر البيت بعد ذلك[1].

والإيطاء هو أن تتكرر القافية في قصيدة واحدة، فإن تكرّرت أكثر من مرة كان ذلك مذموما، وإن اتفق اللفظ واختلف المعنى كان جائزاً[2]، و **السِّناد:** «هو أن يختلف تصريف القافية»[3]، وعلى العموم يرفض قدامة ـــ كما فعل معاصروه ـــ هذه العيوب باعتبارها خروجا عن الاستعمال المألوف في الوزن والقافية، وهي استنادا إلى مبدأ القاعدة والخرق خروج وعدول.

غير أن قراءتنا لعيوب الوزن تبقى ناقصة دون طرح مجموعة من التساؤلات؛ أوّلا: هل بقيت هذه التجاوزات عيوبا؟، هل قبلها المتلقي من الشاعر؟، هل بقي الشعر العمودي بقوانينه هاجسا لدى من يعتقد أنه عائق يمكن ويجب تجاوزه؟، ثم هل بقي مفهوم الشعر الذي يستند على الوزن والقافية ثابتا؟، وهل ما زال الذوق المستأنس بالإيقاع غالبا، أو تغيرت الأذواق و لم تعد الأوزان أساسا في الشعر؟.

4. 7 عيوب المعاني:

تحدّث قدامة ـــ إلى جانب حديثه عن عيوب الوزن والقافية ـــ عن عيوب المعاني في الشعر، ومنها:

الاستحالة والتناقض، ووقوع الممتنع، ومخالفة العرف... وغيرها، وهذا بيانها:

[1]– ينظر محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط1، 1999م، ص230.

[2]– ينظر قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص182.

[3]– نقد الشعر، ص 182.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

أما **الاستحالة والتناقض** فمعناهما أن يذكر في الشعر شيئا، ثم يجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة، وهو عند قدامة عيب فاحش مرفوض، فلا يجوز أن يوصف شيء واحد بأنه أبيض وأسود، كما يستحيل شعر الشاعر متى أتى في شعره بين إثبات الشيء ونفيه في وقت واحد[1]، والتناقض هنا غير المناقضة (المحمودة) التي أشار إليها قدامة ووضحناها في صدر هذا المقال، ويرى قدامة أن الإتيان في الشعر بالاستحالة والتناقض لا عذر فيه، ومما قدمه بيانا للاستحالة والتناقض، "قول أبي نواس يصف الخمر:

كأنَّ بقايا ما عفَا من حبابِها ... تفاريقُ شيبٍ في سوادِ عذارِ

فشبه حباب الكأس بالشيب، وذلك قول جائز، لأن الحباب يشبه الشيب في البياض وحده، لا في شيء آخر غيره، ثم قال:

تردتْ به ثم انفرَى عن أدِيمِها ... تفريَ ليلٍ عن بياض نهارِ

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل، هو الذي كان في البيت الأول أبيض كالشيب، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار، وليس في هذا التناقض منصرف إلى جهة من جهات العذر، لأن الأبيض والأسود طرفان متضادان، وكل واحد منهما في غاية البعد عن الآخر"[2]، غير أن المتلقي متعدد، وجال الإدراك عند متمدد، فلا نرى في التسليم بما ذهب إليه قدامة حصافة، لأن حازم القرطاجني يرى خلاف ما ذهب إليه قدامة في البيتين نفسيهما، قال: "وقد يحتمل قول أبي نواس وجوها من التأويل لا يكون معها فيه تناقض. فمن ذلك أن يكون أراد أن يشبه سواد الخمر بالليل والحباب بالنجوم، فلم يتسع له الكلام لهذا التشبيه، فلوح له في البيت الثاني تلويحا لطيفا بقوله: (تفري ليل عن بياض نهار) حيث

[1]– ينظر نقد الشعر، ص195–196.

[2]– نقد الشعر، ص196.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

كانت النجوم في ضمن الليل تفري الليل ونجومه عن بياض النهار"[1]. إذن فتأويل الشعر أخرجه من التناقض إلى إخفاء المعنى قصدا أو اضطرارا، بما يحمل عليه من مسحة فنية رائقة ـــ بنظرة مختلفة ـــ تعتمد إعمال الذهن، وتقليب الصور، للكشف عن المحتمل من المعاني، فجمع المتناقضين عدول مرفوض عند قدامة، مرغوب عند حازم، وهو مستهجن عندك مستملح عندي، أو العكس، فهو يستند إلى غاية الشاعر، وإن لم يقصد، وإلى حصافة المتلقي وما يرغب.

ومن عيوب المعاني عيب **وقوع الممتنع**، والذي يختلف عن التناقض في أنّ التناقض لا يكون، ولا يمكن تصوره، أما الممتنع فلا يكون أيضا، لكن يمكن أن يُتصوّرَ، ويرى قدامة أن الامتناع ليس غلواً ولا إفراطاً، إنما هو خروج عن حد الغلو الذي يجوز أن يقع إلى حد الممتنع الذي لا يجوز أن يقع[2]، ويمثل قدامة للممتنع بقول أبي نواس:

"يا أمينَ اللهِ عِشْ أبَداً ... دُمْ عَلَى الأيامِ والزمنِ

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله: عش أبداً، أو دعا له، وكلا الأمرين، مما لا يجوز، مستقبح"[3]. فعدم جواز وقوع الأبدية في الدنيا مما لا يختلف فيه اثنان، غير أن استقباح هذا الكلام ـــ بعدّه تجاوزا لحد الغلو ـــ فيه نظر، فحازم ـــ مثلا ـــ يرى أن الممتنع قد يقع ويستساغ في الكلام على جهة المجاز؛ لأنه يتصور وإن لم يقع، كتركيب عضو من حيوان على جسد من حيوان آخر، بخلاف المستحيل الذي لا يمكن وقوعه ولا تصوره، كأن يكون شيء طالعا نازلا في الوقت

[1]– حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ص142.

[2]– ينظر نقد الشعر، ص201–202.

[3]– ينظر نقد الشعر، ص201.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

نفسه[1]، ثم ألا يمكن أن نقرأ بيت أبي نواس أمنية لا رجاء فيها، يريد من خلالها التقرب من الممدوح، والممدوح يعرف استحالتها، إذن فما يرفضه قدامة يستحسنه حازم وغيره، لأن الزاوية التي يُنظر من خلالها إلى هذه المسألة تختلف باختلاف المتلقي.

ومخالفة العرف، والإتيان بما ليس في العادة والطبع من عيوب المعاني عند قدامة، وذلك مثل قول المرار: (البحر الطويل)

وَخَالٍ عَلَى خَدَّيك يَبْدُو كَأَنَّهُ سَنَا البَدْرِ فِي دَعْجَاءَ بادٍ دُجُونُهَا

المتعارف المعلوم أن الخال أسود، أو ما قارب الأسود، والخدود الحسان إنما هي البيض، وبذلك تُنعت، غير أن الشاعر أتى بالمعنى مقلوبا، خارجا به عن المألوف المتعارف عليه[2]، لما جعل الخدود سوداء والخال أبيضا بما يثير لدى المتلقي دهشة واستغرابا، بغض الطرف عن كونه عيبا أو ميزة، فالمرأة البيضاء تتجمل بالخال الأسود في خدها، لبروز سواد صغير في بياض واسع، وتتجمل السماء السوداء ليلا بالبدر؛ ببروز بياض صغير في سواد واسع، من باب تقريب الصورة، والتخييل.

4. 8 عيوب تتعلق بائتلاف اللفظ والمعنى:

عَرَضَ قدامة إلى جانب العيوب المتعلقة بالمعنى عيوبا تتعلق بائتلاف اللفظ والمعنى، وهي: الإخلال، والحشو، والتثليم، والتذنيب، والتغيير، وأخيرا التفصيل، وهذا بيانها:

أما **الإخلال** فهو أن يترك الشاعر من اللفظ ما به يتم المعنى، نحو قول عروة بن الورد:

عجبتُ لهم إذ يقتلونَ نفوسهمْ ... ومقلتهمْ عند الوغَى كان أعذرَا

[1]– ينظر حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص145.

[2]– ينظر نقد الشعر، ص 203.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

فإنما أراد أن يقول: عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم[1]، فترك (في السلم) لاكتفاء الشطر الأول وزنًا، ودل عليها ما قابلها في الشطر الثاني (عند الوغى)، وقد قدّم قدامة تعليقا على هذا البيت وعلى غيره بـــ: (أراد أن يقول...)، أو ما في معنى هذه العبارة، بما يدل على عدولٍ في الاستعمال، غير أن ترك اللفظ الذي يتم به المعنى، ليس بالضرورة قبيحا ما دمنا نستطيع الوصول إليه بقرينة يضعها الشاعر ذاته، فإن غابت، كان قبيحا، ثم فلننظر إلى بيت عروة بن الورد، ألا نرى فيه من النباهة والفطنة ما يتجاوز الاضطرار إلى ترك لفظ استجابة للوزن إلى تنشيط ذهن المتلقي، وتحريك ملكة إدراك الخفي من الجلي، وتلك مزية في الشعر لا عيب.

أما "**الحشو**" فهو أن يُحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لغرض إقامة الوزن، وهو عيب في ائتلاف اللفظ والمعنى دعت إليه سلامة العَروض، ومثلُهُ "**التثليم**" الذي هو: أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض، فيضطر إلى ثلمها؛ أي قطعها، والنقص منها، ومن جنس هذا العيب نفسه "**التذنيبُ**" وهو عكس العيب المتقدم، ويقع بأن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العَروض، فيضطر لإتمامه إلى الزيادة فيها، أمّا "**التغيير**" فهو من العيوب التي تنتج عن مراعاة سلامة العروض، وهو أن يغيِّر الشاعر الاسم عن حاله وصورته إلى صور أخرى، للمحافظة على سلامة العروض، أما "**التفصيل**" فهو التقديم والتأخير بداعي الوزن، وذلك أن الكلام إذا لم ينتظم للشاعر على ما ينبغي لمكان العروض، كان له التقديم والتأخير لتحقيق ذلك[2]. وإذ نرى أن الإخلال قد لا يكون عيبا، فإن بقية

[1]– نقد الشعر، ص204.

[2]– ومن أمثلة هذه العيوب:

الحشو: نحنُ الرؤوسُ وما الرؤوسُ إذا سمتْ ... في المجدِ **للأقوَام** كالأذنابِ

التثليم: لا أرَى من يعينني في حياتِي ... غيرَ نفسِي إلا بنِي **إسرال**

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى مستقبحة مستهجنة، لاكتفائها بتمثُّل العروض على حساب النظم.

4. 9 عيوب تتعلَّق بائتلاف المعنى والوزن:

وتطرّق قدامة إلى عيبين آخرين يتعلّقان بائتلاف المعنى والوزن، وهما: المقلوب، والمبتور، أمّا **المقلوب** فهو: أن يقلب الشاعر المعنى مضطرا إلى ذلك بسبب الوزن، ومثال ذلك قول عروة بن الورد:

فلو أنِّي شهدتُ أبا سعادٍ ... غداةَ غَدا بمهجتهِ يفوقُ

فديتُ بنفسهِ نفسِي ومالِي ... وما آلوكَ إلا ما أطيقُ

فَدَيْتُ بِنَفسهِ نفسِي ومالِي، فهو أراد أن يقول: فديتُ نفسَه بنفسي، فقلب المعنى مضطرا لسلامة الوزن[1]، والسؤال هنا: هل يخضع عروة ـــ وهو عروة ـــ للوزن؟، وهل تعوزه الكلمات حتى يقع في ذلك؟، أم قصد ذلك ورمي إليه رميا، ثم ألا ترون أنّه صار مثلا تتداوله الألسنة إلى يومنا هذا استغرابا واستلطافا، بعدما كان استهجانا؟. ألا يمكن أن نتصوّر أنه قلب المعنى لشد انتباه المتلقي للمعنى الذي يريده؟، إن النظر إلى المتلقي بعده ذكيا وفطنا يفترض من الاعتقاد بأن الشاعر يدرك ذلك، وعليه أن يكون بمقدار ذكاء المتلقي أو أكثر حتى يستطيع التأثير فيه، وأعتقد أن هذا القلب صورة من لهذا العدول القصدي المبدع الذي يستفز المتلقي ويحترم حصافته.

التذنيب: لا كعبدِ **المليكِ** أو كيزيدِ ... أو سليمان بعدُ أو كهشامِ

التغيير: منْ نسجِ داودِ أبي **سلام**

التفصيل: وبلغْ نميراً، **إن عرضت**، ابن عامرٍ ... فأيُّ أخٍ في النائباتِ وطالبِ. ينظر نقد الشعر، ص206–207.

[1]– ينظر نقد الشعر، ص209.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

أما **المبتور** فهو: أن يقطع الشاعر المعنى في بيت الشعر بالقافية ليُتمّه في البيت الثاني، لطول المعنى عن أن يحتمل العروضُ تمامه في بيت واحد، ومثال ذلك قول عروة بن الورد:

فلو كاليَوْم كان علي أمرِي ... ومَنْ لك بالتدبُّرِ في الأُمُور

فهذا البيت ليس قائماً بنفسه في المعنى، ولكنه أتى بالبيت الثاني بتمامه، فقال:

إذاً لملكتُ عصمَة أمِّ وهبٍ ... علَى ما كان من حسَك الصدورِ[1]

وأغلب القدامى على رأي قدامة في عد المبتور ـــ أو ما يسميه غيره التضمين ـــ قبيحا، ومنهم: ثعلب (ت 291 هـــ)، والمرزباني (ت 384 هـــ)، وابن وكيع التنيسي (ت 393 هـــ)، وأبو هلال العسكري (ت 395 هـــ). غير أن جعل الاشكال المعيبة للتضمين دليلا مطلقا لهذا الحكم فيه نظر، إذ علينا النظر الى ما يحققه هذا الشكل داخل النص، وتكشف خصائصه الأسلوبية، وقد خالف بن كيسان (ت 299 هـــ) هؤلاء في هذه النقطة، إذ يرى أن بعض المحدثين (في زمانه) قد يتعمد التضمين في قصيدته كلها ويجري ذلك على حسن الاقتدار، فلا عيب فيه عليه، وانما العيب على من اجتهد في أن تكون أبياته كلها كالأمثال التي تنفرد، فيكون كل بيت منها قائما بنفسه غير معتمد على غيره[2]، والرؤية اليوم مخالفة كلّيا للرؤية القديمة المجزّأة والمجزّئة للنص الشعري، متوافقة مع ما ذهب إليه ابن كيسان، وأبعد امتدادا إلى وحدة النص على حساب وحدة البيت، والقارئ لبيتي عرة ابن الورد لا يجد نفورا البتة، بل قد يجد انجذابا إلى تتمة ما لم

[1]– ينظر نقد الشعر، ص209.

[2]– ينظر عبد الجبار سلامي: شعرية القافية في الخطاب النقدي، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، 2020م، ص 114–115.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

يقله في البيت الأول، فتكون الحاجة إلى بيت ثانٍ من أدوات الشاعر لاستجلاب انتباه المتلقي، وتلك من أسما غايات الشعراء.

5. الخاتمـــة:

قدم قدامة في "نقد الشعر" صورا كثيرة للعدول عدّ بعضها حسنا محمودا، وبعضها مستقبحا مذموما، وقد كان لنا ـــ في هذه الورقة ـــ تعليقات على هذه الصور، نوجزها في ما يأتي:

المناقضة: عدّ قدامة مناقضة الشاعر نفسه في شعره، بأن يَصفَ شيئاً بالحسنِ وصفا رائقا، ثم يذمّه بعد ذلك ذماً حسناً، غير معيب، ونحن نتفق مع قدامة في هذه المسألة، مع زيادة تنبيهٍ، فالمناقضة لا تؤثر في صنعة الشاعر وبراعته، فهو بارع في الحَسَن من المعنى، وبارع في الفاحش منه، فإن تحقق له الجمع بينهما في صورة واحدة، أثار دهشة واستغرابا للمزج وللبراعة، وليس قبولا للمعنى الفاحش.

الغلو والكذب: يستملح قدامة الغلو، ويرى أن أحسن الشعر أكذبه، وقد فرّق بين غلوٍّ جائز وغلوٍّ غير جائز، وغير الجائز عنده ما كان خروجاً عن حد الغلو الذي يجوز أن يقع الممتنع (المستحيل) الذي لا يجوز أن يقع، والذي أدخله في باب عيوب لمعاني، والواقع أنّ كلا العدولين متروك للمتلقي، لأن حدود المستحيل متفاوتة، ثم إن قبولي لجمال الصورة المستحيلة لا يفرض على غيري قبولها، ورفضي لا يلزم غيري كذلك.

التشبيه: يستحسن قدامة التشبيه الذي تتعدد أوجه الاختلاف بين طرفيه وتقل أوجه الاختلاف حتى يدني بهما ذلك إلى الاتحاد، غير أنني أرى ـــ كما يرى البلاغيون المتأخرون والمحدثون ـــ أن للتشبيه البعيد وقعا فريدا وعميقا في النفس، استغرابا واستحسانا.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

الاستغراب والطرافة: لا يعدّ قدامة الاستغراب والطرافة سببا في جودة الشعر، إذ الجيِّد ما كان في ذاته جيدا، فإذا قيل من غير أن يكونَ تقدَّمهُ مَنْ قالَ مثلَهُ، فهو الطريف والغريب، غير أن إتيان الشاعر بالجديد الطريف الذي لم يسبق إليه فيه إرباك للسامع وإمتاعٌ، ثم إن ذلك مما يدعو إلى الحفظ، لأن الشعر يُختار ويحفظ لأنّ قائله لم يقل غيره، أو لأنّ شعره قليل عزيز، أو لأنّه غريب في معناه.

ائتلاف اللفظ والمعنى:

الإرداف (الكناية) يستحسن قدامة الإرداف، لأن النفس تأنس بإخفاء الشيء والتلميح إليه.

التمثيل: هو وضع لفظٍ للدلالة على غير ما وضع له، وهو غير التشبيه،

بأن يلمّح الشاعر بدل أن يصرّح، والنفس تأنس بالتلميح على حساب التصريح.

عيوب الشعر: رفض قدامة ـــ كما فعل معاصروه ـــ كسر قواعد العروض بما يفسد الوزن والقافية، وعلى الرغم من اتفاقي مع هذا الرفض، إلا أنني أتساءل: هل بقيت هذه التجاوزات عيوبا؟، وهل بقي مفهوم الشعر الذي يستند على الوزن والقافية ثابتا؟، وهل ما زال الذوق المستأنس بالإيقاع غالبا، أو تغيرت الأذواق و لم تعد الأوزان أساسا في الشعر؟.

عيوب المعاني: وفيها ثلاثة عيوب: الاستحالة والتناقض، ووقوع الممتنع، ومخالفة العرف.

الاستحالة والتناقض: يرى قدامة أن الإتيان في الشعر بالاستحالة والتناقض لا عذر فيه، غير أن تأويل الشعر يخرجه من التناقض إلى إخفاء المعنى، وهو ما يدفع إلى إعمال الذهن، وتقليب الصور، للكشف عن المحتمل من المعاني، وتلك متعة الشعر.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

وقوع الممتنع: يرى قدامة أن الامتناع ليس غلواً ولا إفراطاً، إنما هو خروج عن حد الغلو الذي يجوز أن يقع إلى حد الممتنع الذي لا يجوز أن يقع، غير أن استقباح ما يرى قدامة أنه ممتنع فيه نظر، إذ يمكن أن يقع الممتنع ويستساغ في الكلام على جهة المجاز.

مخالفة العرف: مخالفة ما تعارف عليه الناس من عيوب المعاني عند قدامة، غير أن ذلك قد يعد تجديدا بديعا عند غيره.

عيوب تتعلق بائتلاف اللفظ والمعنى: وهي: الإخلال، والحشو، والتثليم، والتذنيب، والتغيير، والتفصيل.

نتفق مع قدامة في عد الحشو، والتثليم، والتذنيب، والتغيير، والتفصيل عيوبا مفسدة للشعر، غير أن الإخلال فيه نظر، فالإخلال الذي هو أن ترك اللفظ الذي يتم به المعنى، ليس بالضرورة قبيحا ما دمنا نستطيع الوصول إليه بقرينة يضعها الشاعر ذاته، فإن غابت، كان مبهما، واتفقنا بأن يكون قبيحا.

عيوب تتعلَّق بائتلاف المعنى والوزن: وفيه المقلوب والمبتور.

المقلوب: قد لا يكون القلب عيبا، إذ يمكن أن يكون قلب المعنى لشد انتباه المتلقي للمعنى الذي يريده.

المبتور: وأغلب القدامى على رأي قدامة في عد البتر أو التضمين قبيحا، غير أن ابن كيسان رأى غير ذلك، فعدّ التضمين ميزة لا عيبا، والرؤية اليوم مخالفة كلّيا للرؤية القديمة المجزّئة للنص الشعري، لأنها تسعى إلى وحدة النص على حساب وحدة البيت.

نقول ـــ في الختام ـــ أن الشعر ـــ عند قدامة ـــ شأنه شأن الصناعات، من حيث أنها يُنظر إليها من باب الاستحسان أو الاستهجان؛ أي من طرفين: طرفٌ أقصى هو الجودة (شعر بليغ)، وطرَف أدنى هو الرَّداءة (شعر معيب)، وبين هذين الطرَفين تأتي

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

حالُ التوسط بين الجودة والرداءة، وهو عندما يحدِّد تعريفًا للشعر يَنظر في عناصره نظرة الفاحص الممحص، الذي يمتلك أدوات التمييز بين بليغ الشعر ومعيبه، من خلال فهم عميق لمسطرة العدول التي يختلف النظر إليها من متلقٍّ إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، ومن زمان إلى زمان آخر، فلعل ما كان معيبا في زمن قدامة هو إبداع اليوم، ولعل ما كان في نظره ونظر عصره بليغا، هو سطحي وعادي، وقد يكون مبتذلا اليوم، وعلى ذلك يبقى الحكم على المسائل الذوقية عبر كل الأزمنة والأمكنة، حكما نسبيا، لا تحده القوانين والقواعد.

ـــ قائمة المراجع:

1 ـــ أحمد محمد ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق ـــ 2002م.

2 ـــ الأخضر جمعي: اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م.

3 ـــ عبد الجبار سلامي: شعرية القافية في الخطاب النقدي، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، 2020م.

4 ـــ جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم – بيروت، ط4، 1998م.

5 ـــ حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي.

6 ـــ ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري: خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت، 2004م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

7 ــ حسين خمري: الظاهرة الشعرية العربية ــ الحضور والغياب ــ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م.

8 ــ ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م.

9 ــ طراد الكبيسي: في الشعرية العربية (قراءة جديدة في نظرية قديمة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004م.

10 ــ علي الجندي: فن التشبيه، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ط1، 1952.

11 ــ فاتح علّاق: مفهوم الشّعر عند رُوّاد الشّعر العربي الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2005م.

12 ــ ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423 هـــ.

13 ــ قدامة بن جعفر: نقد الشعر. تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان.

14 ــ ابن كثير: البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م.

15 ــ محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط1، 1973م.

16 ــ محمد تحريشي: النقد والإعجاز، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق2004.

17 ــ محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط1، 1999م.

19 ــ مصطفى درواش: خطاب الطبع والصنعة (رؤية نقدية في المنهج والأصول)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2005م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 408–437 تاريخ النشر: 17–11–2020

20 ـــ مصطفى درواش: خطاب الطبع والصنعة (رؤية نقدية في المنهج والأصول)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م.

21 ـــ أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري: البديع في نقد الشعر، تح: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، مر: إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة،

22 ـــ ميلود مصطفى عاشور: مقاييس فصاحة اللفظ ومعايير بلاغة المعنى في التراث النقدي والبلاغي – دراسة فنية تحليلية، يسطرون للطباعة والنشر، 2015م.